الاحتلام

أيها النوم ! أنت أروع الأحلام وأشهاها . وبعد كد النهار أقصى الأمنيات وأحلاها . ما حاول فنان الإبداع والخلود إلا تصورك جمالا عاريا ، على أريكة وثيرة من الدمقس مستلقياً ، تمثل الاستكانة والمشاكسة ، وتجمع بين الإمتاع والمؤانسة ، يخشاك الكل إذا كان حاولك إيذاناً بانصراف الحبيب ، ويتمناك الكل عند ما تخبو جذوة الجسم ولا يبقى لها من الوهج واللمعان نصيب . إذا اجتمع الشتيتان قيل يانوم زل ويافجر لا تطلع ، وإذا خلا القلب والبال قيل أهلا بالنوم فليس لنا فى سهر الليل من مطمع . أنت بلسم الآلام ومخزن الآمال ، سيان عندك المدقع وذو الجاه والمال . قد تسخو على من نبذته حياة النهار ، وتقبض يدك عمن ملئت خزائنه بالذهب والدينار ، يمشى الشباب فى ركابك مهللين مكبرين ، ولو حمتك وكرمك وفرجك ملتمسين ، فخزائنهم جدٌ ممتلئة ، وعواطفهم جد ملتهبة . ولا يصرف الفائض أو يخمد جذوة اللهب إلا صمام تفتحه رحمتك فيصحو النائم وقد زال عن صدره كابوس مخيف ، ويشعر كأن قد هب على قسمات وجهه الحائرة نسيم خفيف لطيف .

هذا الطارق الليلى الذى يأتى بميعاد وبغير ميعاد فيفرج كربة

الشباب ويريح القلب والأعصاب ، هو ما يسمونه الاحتلام ، أى خروج المنى من الجسم رغم إرادة الشخص ودون أن يكون لهذا دافع الجماع أو العادة السرية . وهو حدث طبيعى فى حياة الإنسان إذا جاء فى الليل على نوبات متباعدة نوعا لا يصحبها هبوط أو همود ، ويعتبر الاحتلام طبيعياً إذا حدث أثناء الليل وصحبه انتصاب قوى ولم يعقبه همود جسمى ولم يتعد حدوثه المرة كل أسبوع أو عشرة أيام . ولو أنه يحدث أحيانا أن تمضى سبعة أسابيع أو ثمانية دون احتلام فتفيض الكأس مرتين أو ثلاثاً فى ليلة واحدة أو فى ليال متتالية ، ويكون هذا فى حدود المتوسط الطبيعى لتلك المدة الطويلة .

وقصة الاحتلام طويلة غير مملة ، لها بدايتها ونهايتها ككل قصة ، ولها خباياها وخفاياها وأسرارها التى كلما تفتحت إحداها شعر القارىء بغبطة الذى يود لو تفتحت أمام عينيه مغاليق الحياة ، فالعلم سهل ممتنع متى أدركنا قاعه المظلم وسبرنا غوره ، وأسراره عزيزة وهى ممتنعة لذيذة كالقبلة الأولى عند بدء قطفها ، ثم لا تلبث النفس أن تطمح فيما وراء القليل حتى تندفع فى الخضم الواسع الأرجاء الذى لا نهاية لما فيه من سر وعظمة . والاحتلام رواية مسرحها الكرة الأرضية بأرجائها الواسعة ، وأبطالها جميع بنى البشر الذين يدبون على الأرض بين خط الاستواء والقطبين ، ولا يترفع عن القيام بأحد أدوارها ملك أو أمير أو صعلوك ؛ لذا

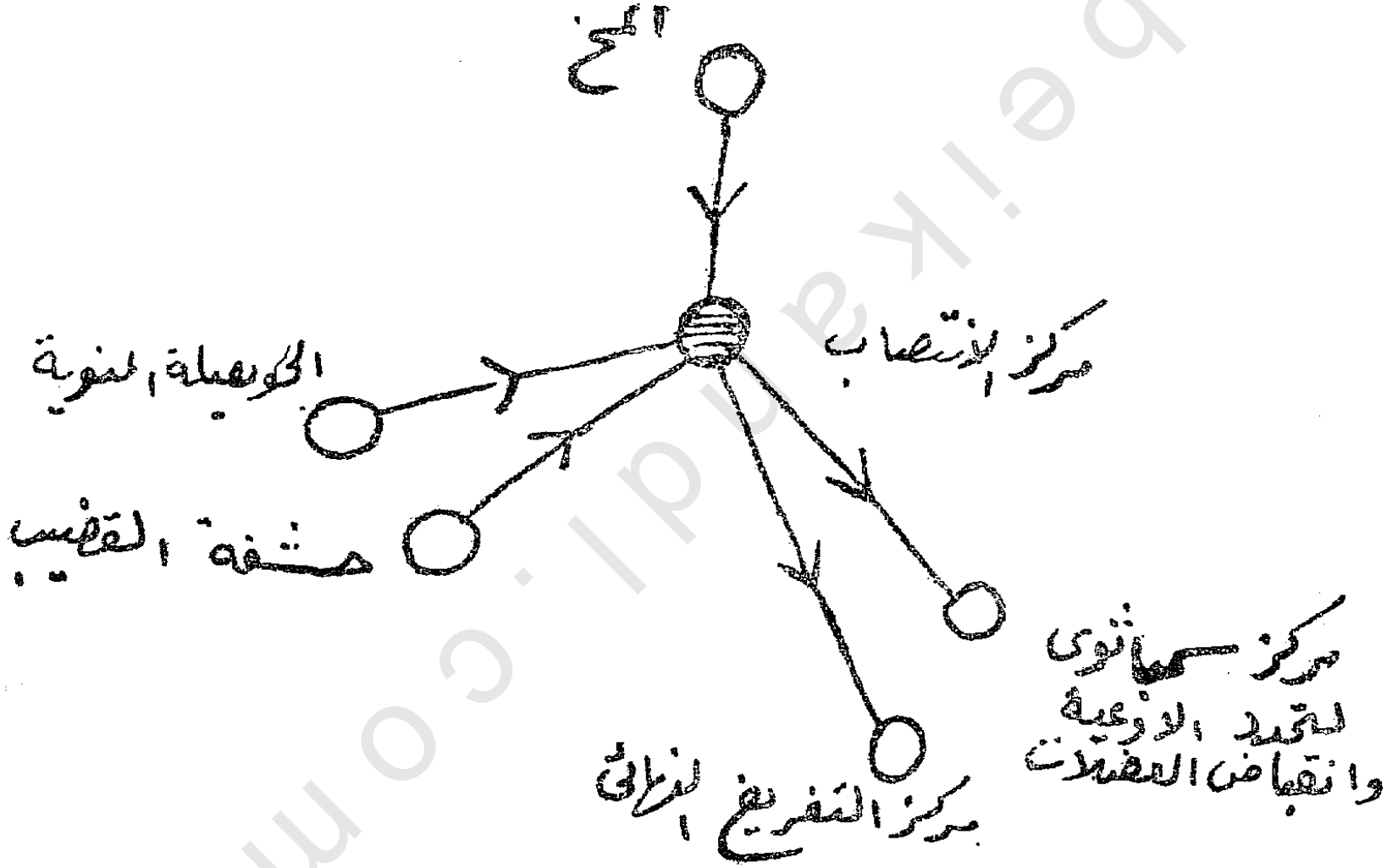
المخ
مركز الانتصاب
الكوبيلة المنوية
حشفة القضيب
مركز سمبانوى
لتمدد الاوعية
وانقباض العضلات
مركز التفريغ المنوى

وجب علينا أن نحاول تفسير تفاصيل تلك المؤامرة المسرحية التى تحبك أطرافها حول أهل الأرض طرًّا وهم غافلون نيام ، حتى إذا وقعت الواقعة صحوا من غفلتهم بعد فوات الأوان .

وسوف يسهل على القارىء فهم القصة ، إذا تتبع معى تفسير الرسم المرافق لهذا . ففى الانتصاب الطبيعى الذى يسبق الجماع تبدأ الرواية فى المخ عند ما يفكر الشخص تفكيرا جنسياً ، فترسل الإشارة من هناك إلى مركز الانتصاب من النخاع الشوكى ، وهذا بدوره ينبه مركزا آخر مهمته إحداث تمدد فى أوعية القضيب الدموية ، فيتضخم وينتفخ ، ثم انقباض عضلاته فيبقى منتصباً ، حتى إذا ما بلغ الشبق منتهاه ووافق المركز الأعلى فى المخ على إسدال الستار على الفصل الأخير صدرت التعليمات إلى مركز التفريغ النهائى الذى تقع عليه مهمة تفريغ محتويات الحويصلات المنوية فى قناة مجرى البول ، وإن احتكاك حشفة القضيب بجدران المهبل هو الذى يحافظ على بقاء توتر هذه الشبكة الحيوية أثناء الجماع ، وعلى هذا التوتر يتوقف نجاح العملية .

أما فى حالة الاحتلام فإن الإشارة تبدأ فى الحويصلة المنوية ، كنتيجة لامتلائها بالمنى المختزن ، وبسبب وصولها إلى الجهاز العصبى يرى النائم أحلاماً شهوانية لا تلبث أن تنتج عنها جميع عواقب الجماع الطبيعى ، فيتنبه مركزا الانتصاب المخى والشوكى ،

ويرسلان الإشارات قوية محكمة إلى المركز السمباتوى ، فينتصب القضيب ، ثم إلى مركز التفريغ فينسكب المنى خارج الجسم .

هذا ما يحدث فى الحالات الطبيعية . ولكن كثيراً ما تكون هذه المراكز سريعة التهيج كما هى الحال عند الأشخاص الذين أفرطوا فى العادة السرية أو فى ممارسة الجماع بطريق الانسحاب لغرض منع الحمل . فى مثل هؤلاء تتنبه غريزتهم الجنسية لأوهى سبب وعند أقل الأفكار تنبيها للشهوة ، فتتكرر العملية فى فترات متقاربة فى اليوم الواحد ، ثم تضج الأعصاب من كثرة العمل وتعلن الإضراب على مرهقها دون ضمير أو وازع ، فتهمد حركتها وتنقطع عادة الاحتلام فيطمئن المريض — ولنسمه مريضاً — ويظن أنه قد شفى نهائياً . ولكن الواقع أن هذا ليس شفاء لأنه إذا حاول ممارسة الجماع الطبيعى لصادف نفس الهمود والهبوط فيعجز حتى عن الانتصاب ، لقد كان الاعتصاب عاماً والإضراب شاملا .

وقد يحدث الاحتلام أثناء اليقظة خلال النهار إذا فكر الشخص فيما يهيج حواسه أو صادف ما أثار فيه الغرائز الجنسية ، كأن يرى امرأة جميلة أو يحتك بسيدة فى ترام مزدحم . وقد يحتلم الشخص أثناء التبرز . ويعزو البعض هذا إلى ضغط المواد البرازية اليابسة على الحويصلات المنوية أثناء خروجها . وقد

يحدث الاحتلام أيضاً أثناء التبول ، وكل هـذه الأحداث تدل بطبيعة الحال على شذوذ عصبي يستلزم علاجا خاصا وعناية ملحة .

* * *

يقف المحتلم حائراً بين مدرستين . تقول له الأولى : حذار فليس الاحتلام سوى تجربة قاسية تستنزف من جسمك البض إكسير الحياة . وتقول له الثانية : نم على أذنيك ولا تبال . إنها الطبيعة تنساب من بين أخاديد جسمك إلى وادى الأحلام فيخرج الفائض منبوذاً غير مأسوف عليه . والحقيقة أن مشكلة الاحتلام ليست بالقسوة التي تصورها المدرسة الأولى ، ولا بالبساطة التي تتخيلها المدرسـة الثانية . ونكون أكثر عدلا إذا أخذنا مكاناً وسطا بين المدرستين ، واعتبرنا الاحتلام على نوعين ، أحدهما طبيعي والآخر مرضي . وقصة الطبيعي تتلخص في أن بطلها يرى أثناء نومه حلماً شهوانيا يصحبه انتصاب ثم قذف منوي . ويصحو الشخص من نومه عادة أثناء عملية القذف ، ولو أنه يحدث أحياناً أن يظل مستغرقاً في النوم ولا يشعر أنه قد بلل سرواله إلا عند ما يستيقظ في الصباح . ولـكي يعتبر الاحتلام طبيعياً يجب أن يحدث بمتوسط مرة في كل عشرة أيام ، وأن يصحبه انتصاب وألا يعقبه أي شعور بالهمود أو هبوط القوى الجسمية ، بل بالعكس قد يبعث حدوثه انتعاشاً في الجسم وشعوراً بالسرور والرضا عما حصل .

أما الاحتلام المرضى فإنه يحدث بمعدل مرتين أو ثلاث فى الأسبوع ، وفى معظم الحالات لا يصحبه انتصاب ويعقبه خمول وشعور بالضعف . وإذا أهمل علاجه يزيد عدد المرات ثم لا يلبث أن يقل تدريجياً حتى ينعدم الاحتلام تماماً ؛ وذلك — كما فسرنا من قبل — نتيجة إرهاق المراكز المخية والشبكة العصبية المسؤولة عن عمليتى الجماع والاحتلام . وقد يظن المريض أنه قد وصل أخيراً إلى بر الشفاء عند ما ينقطع الطارق الليلى الذى طالما أقض مضجعه ، ولكنه يجد نفسه عاجزا عن ممارسة الجماع الطبيعى لأن إضراب الأعصاب كان عاماً شاملا .

وليس من لغو القول — بل هو من طريفه وبديعه وصميمه — أن نذكر شيئاً عن نوع الأحلام التى تصحب هذا الزائر الليلى أثناء زيارته القصيرة المفاجئة . ففى الأشخاص الذين سبق لهم ممارسة الجماع يكون الحلم صورة مطابقة لما يحدث فى الحياة العادية ، فيحلم الشخص أنه يداعب امرأة ويلاعبها ، ثم يرتد الطرفان كل إلى ركن من المكان استعداداً للنزال ، فإذا ما تخلصا من الأسمال الممقوتة هاج منه الغصن وسقطت عنها ورقة التوت ، وتمت العملية بكل تفاصيلها . . وتطول مدة الحلم عادة فى الحالات الطبيعية . أما فى الحالات المرضية فإن الأعصاب الثائرة لا تحتمل حلماً طويلا ، وتحدث النهاية المفجعة عند مجرد محاولة الإيلاج ، وكلما تفاقمت الحالة قصر الحلم تبعاً لذلك ، فينتهى أخيراً عند بدء

الداعبة بمجرد ملامسة الطيف المحبوب وهو فى كامل ملبسه . أما عن شخصية المحبوبة ، فهى غالباً ذات سابق معرفة بالضحية ، كأن تكون حبيبة أو قريبة أو امرأة ملكت عليه حواسه عن بعد دون أن يكون له حظ المعرفة أو الوصال . وقد لا يرى الشخص فى المنام امرأة ، بل يرى نفسه يمارس العادة السرية ، بل قد يحتلم دون أن يتذكر أنه رأى شيئاً مادياً يهيج شعوره الجنسى . ويمكننا القول أن من يرى فى المنام أنه يجامع سيدة فهو لا بد قد ارتكب هذه الفعلة فى حياته المادية مهما أنكر ذلك عند استجوابه فى سبيل العلاج ، إلا إذا كان قد استرق السمع والنظر إلى شخصين متلبسين فى مكان مكشوف كما يحدث فى بعض الحدائق العامة فى الخارج ، أو شاهد العملية بحذافيرها فى شريط سينمائى كالذى يعرض فى أماكن خاصة بباريس وغيرها .

* * *

ولننتقل الآن من احتلام الليل إلى احتلام النهار ، وهو حدث غير طبيعى ، وينظر إليه الإخصائيون كمرض يجب علاجه بعناية . وفى هذه الحالة يتلوث السروال الداخلى لمجرد رؤية امرأة أو الاحتكاك بها فى مكان مزدحم ، ولا يصحب هذا النوع من الاحتلام فى الغالب أى انتصاب ، بل يحدث فى الحالات الشديدة أن يرى المريض قطرات من المنى تنساب من فتحة مجرى البول كلما حاول النظر إليها . ويدخل فى نطاق الاحتلام المرضى ذلك

النوع الذى يحدث عند التبرز ، ففى بدء الأمر يكون خروج المنى فى حالات الإمساك الشديد الذى يتطلب من الشخص حزقاً لطرد البراز المتجمد ، ثم لا يلبث أن يتكرر حدوثه مع كل تبرز مهما كانت طبيعة البراز ، حتى لو كان ليناً سائلا نتيجة تعاطى مسهل أو ملين ، فيخرج دون بذل أى مجهود ؛ وهذه الحالات بالذات هى التى تؤدى إلى عنة مستعصية قد تفشل فيها كل وسائل العلاج . وما قيل عن احتلام التبرز يسرى على احتلام التبول وهو الذى يعتبر أشد الأنواع وأوخمها عاقبة ، وفى الغالب يحدث الاثنان سويا فى الشخص الواحد ، وكأنّ الصواميل الأمامية والخلفية قد تفككت ، والله المستعان على إرجاعها لطبيعتها .

ويشكو المريض بالاحتلام المرضى من أعراض ، أهمها شعور بالإعياء والكلل عقب خروج المنى ، ويصحو من نومه وقد فقد حماسه نحو النهار المنتظر ، ويشعر وكأنه قد قام بأعمال شاقة طوال الليل أثناء نومه ، فيود لو بقى فى فراشه يتقلب يميناً ويساراً حتى يغلب عليه النوم ثانية وقد يصاب بصداع شديد والم فى العينين ، وثقل فى الخصيتين وتنتابه نوبات خفقان فى القلب وآلام فى الظهر ويتصبب منه العرق وترتعش منه اليدان ، وقد يشكو من ضعف الذاكرة وعدم القدرة على التركيز الذهنى ، وقد يصحب هذه الحالات ألم عند التبول وشعور بالرغبة فى الاستمرار فى التبول رغم أن المثانة قد أفرغت تفريغا تاما .

* * *

ولنذكر الآن شيئاً عن المستقبل الذى ينتظر هذه الحالات جميعاً . فالاحتلام الليلى الطبيعى حميد فى نهايته ، بل هو فى الواقع لا عاقبة له . أما احتلام النهار فإنه أسوأ عاقبة ولو أنه يستسلم فى نهاية الأمر إلى العلاج الدقيق . ثم يليه فى الشدة احتلام التبرز . أما احتلام التبول فهو أسوؤها جميعاً ، إلا أن الحالات التى يخرج فيها المنى مع كل تبرز حتى لو كان سائلا ، كثيراً ما يعقبها ارتخاء مستعص فى العضو التناسلى . ومهما قيل عن عواقب المرض أو بولغ فيها فلا خطر منه على الحياة ، وهو لا يؤدى مطلقا إلى الجنون . فصبراً أيها الملتاعون البؤساء ، وعزاء يا صديقى الطالب البائس الذى كان خطابه المؤثر أكبر دفع لى على طرق هذا الباب .

أما العلاج فمنه الوقائى ويتلخص فى إنذار الشاب الذى يدنو من البلوغ ألا يرتاع للتجربة التى قد يمر خلالها ، وألا يعتقد أن خروج هذا السائل الدافىء دليل على نضج تناسلى يحتم عليه تطبيقه فى جماع طبيعى ليعد نفسه للرسالة التى خلق من أجلها وهى حفظ النسل والرحم . ويحسن تشجيعه فى هذا الدور على ما يشغل ذهنه عن الأفكار الجنسية ، كأن يمارس بعض الألعاب وينغمس فى القراءات المحتشمة المفيدة . ويجب أن يتبول قبل الذهاب إلى فراشه لأن المثانة الممتلئة قد تبدأ احتلاما ليليا . وإذا صحا من نومه فى الصباح وجب عليه أن يترك فراشه بسرعة ، لأن البقاء فيه مدة

طويلة يهيج فيه الأفكار الجنسية ، كما يجب عليه أن يمتنع عن تعاطى المشروبات الروحية والإقلال من القهوة والشاى .

وأهم عناصر العلاج الطبى هو إعطاء المريض برومور البوتاسوم بكميات وافية ، أى بمقدار جرام واحد ثلاث مرات فى اليوم . وهذا الدواء سريع التأثير ، إذ يقل عدد المرات بسرعة غريبة ، وتتحسن تبعا لذلك حالة المريض النفسية والجسمية . وفى الحالات الشديدة يلجأ إلى تدليك البروستاتا وحقن محلول قابض كنترات الفضة فى الجزء الخلفى من قناة مجرى البول ، لاحتمال وجود حالة احتقان مزمن كالذى يشاهد فى ضحايا العادة السرية ، وهذا الاحتقان قد يكون محطة الإرسال التى تنعبث منها الإشارات إلى المراكز المخية والنخاعية فتنبهها لتبدأ أسطورتها التى سارت منذ القدم فى موكب الزمان .

العادة السرية

يقصد بالعادة السرية التمتع بالشبق الجنسى عن طريق اليد أو حك الفخذين أو بمجرد تخيل طيف العزيزة فى محيط التفكير . وهى أوسع الأمراض التناسلية انتشاراً ، حتى ليعتبرها علماء الألمان ظاهرة طبيعية فى جسم الحىّ ، ويقولون فى سخرية الواقع . إن الشاب أو الرجل الذى ينكر أنه مارسها فى أحد أدوار حياته هو الذى ما زال يصطلى بجحيمها حتى الساعة . وهى لفرط انتشارها بين المريض والسليم وبين العاقل والأبله ، وجهت إليها اتهامات خطيرة ومتّنت علاقتها بمستشفيات الأمراض العقلية ونزلائها . ولا عجب إذا وجدنا فى تاريخ هؤلاء المرضى إفراطاً فى ممارسة هذه العادة ، فهم والأصحاء سيان فى الانغماس فيها .

وقد تبدأ هذه العادة — التى ألصقت بها صفات القبح والرذيلة والسرية — فى سنى الطفولة الأولى عند ما يكون الطفل خالى الذهن عن خزانات الشهوة الكامنة فى جسمه البض . فقد ينتابه مرض جلدى فى هذا الموضع الحساس فيضطر إلى حكه بأصابعه ، فإذا ما توقف عن الحك بسبب المرض أخذ يداعب أعضاءه التناسلية لقتل الوقت ، فيشعر بلذة يطرب لاكتشافها فيتخذ منها وسيلة

لشغل أوقات الفراغ . وقد تبدأ العادة نتيجة لجوء بعض الأمهات أو المربيات إلى مداعبة أعضاء الطفل بقصد تسليته أو إسكاته إذا بكى . وقد يشعر الطفل باللذة للمرة الأولى عند ما يساعده شخص أكبر منه على إخراج عضوه من السروال بقصد التبول ، وهو منظر شائع فى الشارع أو مدارس الأطفال . وهناك عادة شائعة وهى عقاب التلاميذ بضربهم بالعصا على الأليتين ، وهى — لو علم المربون — قد تكون أول ما يجذب الطفل نحو هذا الجزء الحساس من جسمه . وما دام الحديث قد جرنا إلى الجو المدرسى فلا بأس من القول بأن التلميذ قد يتلقن أصول ممارسة العادة من تلاميذ آخرين معه يفوقونه سناً وإدراكا . وقد لا تبدو على الطفل أعراض غير عادية ، ولكن كلما كان الطفل كبيراً عند إفراطه فى ممارسة العادة بدت عليه بعض الأعراض التى تكشف هويته السرية ، فهو فى الغالب خجول ميال إلى العزلة قد يعتريه صداع متكرر ، يتعب بسرعة ، ويتجنب الاجتماعات ومصاحبة الغير . وقد يعتدحه أستاذه لهدوئه وأدبه غير العاديين ، ويلاحظ فى الكثيرين منهم شحوب وذبول يعزى فى كثير من الأحيان إلى عسر الهضم أو الإجهاد المدرسى . وغنى عن القول أنه من العبث سؤال التلميذ عما إذا كان يمارس العادة أم لا فهو لا بد منكر بشدة ، ولكن على الطبيب إذا لاحظ على تلميذ الأعراض السابقة الذكر أن يفحص أعضاءه التناسلية بدقة عسى أن يجد دليلا موضعياً يشجعه

على مواجهة التلميذ بشكّه فى لهجة قاطعة لا يرى المجرم الصغير بعدها بدًّا من الاعتراف ، اعتقاداً منه أن الطبيب قد وجد بنفسه الدليل القاطع . ويجب ألا يترفع الطبيب عن التفكير فى علاج العادة السرية اعتماداً على أنها تملكت كل كائن آدمى فى أحد أدوار حياته ، وأنها لا بد أن تشفى دون علاج ، وأنها لا تؤدى إلى العواقب الوخيمة التى يهول لها بعض الناس ، ولكن يجب أن نتذكر أن الإفراط فى ممارستها يهد من قوى الطفل ويحول مجرى تفكيره عن مصلحته الخاصة من قراءة واستذكار ورياضة .

وتسرى قاعدة (الوقاية خير من العلاج) فى حالتنا هذه . فيجب أن نبحث عن وجود حالة موضعية ترغم الطفل على حك أعضائه التناسلية ، كالأمراض الجلدية المصحوبة بهرش ، وديدان الأمعاء ، وضيق مجرى البول الذى قد يستدعى إجراء عملية الختان ، ويجب أيضاً أن نمنع التلميذ الصغير من مصاحبة التلاميذ الكبار حتى لا يتلقن عنهم العادة وهو فى سن مبكرة . وينصح علماء الألمان بتعويد التلاميذ وضع أيديهم على الأدراج أثناء الدرس حتى لا تعطى لهم الفرصة للعبث بأعضائهم التناسلية فى غفلة من المعلم ، وكذلك يصممون على ألا يكون لسراويل التلاميذ جيوب جانبية لأنها سبيل هين سهل للوصول إلى مكان اللذة من جسمه فى أى وقت يشاء ، سواء فى المنزل أو الشارع أو المدرسة . ومن أسباب الوقاية أيضاً أن نحسن اختيار المربيات اللاتى نعهد إليهن

بأولادنا ، فكثير منهن يلجأن إلى مداعبة الوتر الحساس لتهدئة الطفل وإسكاته . والمعلوم أيضاً أن المثانة الممتلئة بالبول قد تسبب انتصاباً فى العضو الصغير ، لذا يجب أن تعود الطفل على التبول قبل النوم وعقب الاستيقاظ مباشرة . ولا بأس من التحدث إلى الطفل الكبير الذى يدرك مصلحته فى صراحة سهلة قريبة إلى إدراكه وتفكيره ومناشدة همته وقوة إرادته بطريقة تكسبنا ثقته وتقنعه بالتخلى عن العادة وهو راض مسرور ويجب أن نعلم أنه من العبث استخدام شخص لمراقبة الطفل فى حله وترحاله ونهيه عن لمس أعضائه التناسلية فى الوقت المناسب . فالطفل لن يعدم طريقة يرضى بها هويته فى غفلة من الحارس الأمين . وقد يذكره وجود هذا الحارس دائماً بالغرض الذى يرافقه من أجله ، فيركز همه وتفكيره فى مراوغته ومحاورته ليرضى شهوته على سبيل التحدى ، وكأنه يقول سوف ترى أينا أكثر حيلة أيها الحارس العزيز . وأعرف مثلا لولد من عائلة كبيرة جزع أهله لإفراطه فى العادة السرية فعينوا له مربيتين لمراقبته فى الليل والنهار بالتناوب ، فكانتا تلازمانه أينما ذهب ، ولا تتركانه فى خلوة مع نفسه لدرجة أنهما كانتا ترافقانه عند دخول الحمام ، ومع ذلك لم يعدم الولد وسيلة لإرواء غليله فى غفلة من المربيتين الماهرتين . ولا يمنعنا هذا من مراقبة الطفل دون أن يلحظ ذلك ، فإذا رأته أمه وهو يحاول لمس أعضائه التناسلية طلبت منه تأدية أى عمل فى المنزل يشغله وينسيه ما كان على وشك بدئه .

وقد يلجأ الطبيب إلى وضع جبائر خشبية أو معدنية عند الفخذين أو الذراعين تمنع الطفل من لمس عضوه التناسلى أو حك الفخذين ببعضهما بغية اللذة . وهنا يجب إفهام الطفل أن الغرض من هذه الجبائر هو معالجة مرض فى ذراعه أو فخده ، لأنه إذا علم أن الغرض منها الحيلولة دون لذته تمادى فى عادته القبيحة عند إزالة الجبائر ، مثله فى ذلك كسجين يستنشق نسيم الحرية بعد سجن طويل . وأجدى من هذا كله تحسين حالته الصحية وشغل فكره بأشياء أخرى كممارسة الألعاب الرياضية وتغيير المناظر والهواء والذهاب إلى شاطىء البحر واقتناء الكتب المصورة والاهتمام بحديقة المنزل .

* * *

أتى على العادة السرية حين من الدهر رميت فيه بأشنع التهم ، ونظر إليها كرذيلة أو عادة قبيحة أو حالة عصبية ، وكانوا يلجأون إلى العقاب الجثمانى والتعذيب ليرغموا فريستها على التخلص منها . ولعل المثل التالى يظهر فى جلاء تام العقلية التى ينظر بها الكثيرون إلى العادة السرية . فقد روى مدير أحد ملاجئ الأحداث فى أمريكا عن طريقته لعلاج نزلاء الملجأ الذين يضبطون وهم متلبسون بالجريمة . يقول هذا المدير الحصيف إنه يترك المذنب وحيداً فى زنزانة مظلمة مدة أسبوع ، ويقتصر غذاؤه اليومى خلاله على أكلة واحدة لا تزيد على رغيف وجرعة ماء . ولكنه يعجب من أن الأولاد الملاعين لا يلبثون أن يعودوا إلى عادتهم

القبيحة بعد إطلاق سراحهم بقليل . وهى نتيجة يجب ألا نستغرب حدوثها ! .

ويميل الأطباء وعلماء النفس إلى الاعتقاد بأن معظم التهم الموجهة إلى العادة السرية مفتعلة ولا أساس لها . ويقول ستيكل — وهو من كبار علماء النفس — إن الكثيرين يلجأون إليها لإرضاء غريزتهم الجنسية خوفاً من الأمراض التناسلية التى قد يصابون بها نتيجة جماع غير شرعى ، أو قد يدفعهم إليها تمسك بمبادئ الدين القويم التى تحرم الزنا والفسق . فإذا هولنا وبالغنا فى مضار العادة السرية اندفع الشباب فى تيار من المغامرات قد لا تحمد عقباه ، وقد يؤدى هذا إلى ارتكاب جرائم خلقية ما كان أغنى المجتمع عنها لو تركنا صمام الأمان مفتوحاً . ويبالغ العلماء فى الدفاع عن العادة السرية فيقولون إن الأعراض العصبية التى يقاسى منها بعض الشبان ليست نتيجة العادة نفسها ، بل منشؤها الحقيقى محاولة الحد من ممارستها . فالعادة السرية عند بعض الناس لا يعادلها شىء فى الوجود . بل الواقع أنها قد تكون مخرجهم الوحيد من الضيق والكبت النفسى ، فإذا حرموا منها فقدوا كل ما فى حياتهم من جمال ، فتضيق الدنيا فى عيونهم وقد يدفعهم هذا إلى الانتحار . أى أن الدافع إلى الانتحار ليس ضعف الأعصاب الناتج عن العادة نفسها ، بل الضيق النفسى الناشىء عن محاولة إيقافها ! .

والطبيب العاقل هو الذى يتخذ من هؤلاء الشبان مركزاً وسطا ، فهو ينصح مريضه أحياناً بأن يجد مهرباً فى الاتصال بالنساء من آن لآخر فى اعتدال واحتراس محذراً إياه من الأمراض السرية ومرشداً إياه إلى طرق الوقاية منها ، كى لا يخرج به من جحيم ليصطلى بآخر أشد خطورة ، أو قد ينصح الطبيب مريضه بالاقتصاد فى ممارسة العادة السرية وقصرها على الأوقات التى يشعر فيها باشتداد الشبق الجنسى .

* * *

نعود الآن إلى هذا السؤال الهام : هل العادة السرية مرض عضوى أم هى مرض عصبى مبنى على الخيال والأوهام ؟ إن الرد الذى أجمع العلماء عليه أخيراً هو أنها مرض حقيقى منشؤه وجود حالة احتقان مزمن فى الجزء الخلفى من قناة البول ، وهذا يسبب حساسية خاصة فى العضو التناسلى تؤدى إلى تلبية الدعاء الجنسى بمناسبة ودون مناسبة . وما دامت هذه الحالة الموضعية المرضية موجودة فلا فائدة من علاج مبنى على النصح والإرشاد أو التهديد والتقريع والضرب بالعصا . هل رأيت مريضاً مصاباً بداء الحرب اللعين وهل شاهدته وهو يهرش متألما فى الليل والنهار حتى يكاد يدمى منه الجلد ؟ هل أمكنك أن توقف ميله إلى الهرش بالنصح والإرشاد أو التقريع واللوم أو مناشدة قوة إرادته وقدرته على

ضبط عواطفه ؟ إنك لن تبلغ به بر الشفاء إلا إذا عالجت الداء نفسه بمختلف العلاجات الموضعية ، وعندها فقط تهدأ حالته ويحسن يومه ونومه ويدعو لك بالخير وحسن المآل . كذلك الحال فى العادة السرية ، فلا تنتظر أية فائدة من العلاج الكلامى ولا تستجدى عطف المريض ومعاونته ، فنحن لسنا فى حاجة إليهما . وهل نطلب معاونته أو عطفه إذا عالجنا كسراً فى إحدى عظامه أو فتحنا بطنه لإزالة المصران الأعور الملتهب أو وضعنا له دواءً لحالة جرب شديدة ومؤلمة ؟ إننا أمام حالة مرضية يعالجها الطبيب دون أن يبالى بمناشدة عطف المريض ، والعادة السرية تتسبب عن وجود احتقان مزمن وحساسية فى الجزء الخلفى من قناة البول — وهو الجزء الذى يخترق غدة البروستاتا قبل أن ينتهى فى المثانة البولية . فالطفل عند ما يداعب عضوه التناسلى للمرة الأولى ينبه مركزا خاصا فى المخ سرعان ما يرسل إشارات خاصة إلى عضو الذكر الذى سرعان ما يتوتر نتيجة احتقان حادث فى أوعيته الدموية ، فيحتقن معه الجزء الخلفى من قناة البول ، وبتكرار العملية على مر الأيام والشهور والأعوام تنشأ حالة احتقان وحساسية مزمنة فى القناة البولية الخلفية فينتقل إليها مركز القيادة وتصبح سيدة الموقف ، ترسل إشاراتها إلى المخ حينما تشاء ، فيجد المريض نفسه فى حاجة ملحة إلى العبث بعضوه المنتصب

رغم أنفه ، ولا يكسر من حدة الموقف إلا تقهقره واستسلامه .

* * *

ورب سائل يقول : ما الفرق بين العادة السرية والجماع الطبيعى ؟ ورداً على هذا نقول : إن الأولى تبدأ فى سن مبكرة حين لا يكون الجهاز التناسلى قد بلغ دور الكمال بعد ، وتكون خلايا المخ على حال من الحساسية تجعلها تتنبه لأقل سبب ، فتتكرر العملية بدرجة لا يحتملها الجسم البشرى إذا كان الشخص شاباً أو رجلا مكتمل النمو يحاول جماعا طبيعياً بنفس عدد المرات التى يحاول فيها ولد يافع عادته السرية . ولقد سبق القول أن العادة السرية تتسبب عن وجود احتقان مزمن فى الجزء الخلفى من قناة البول ، فلا فائدة إذاً من محاولة علاجها بنصح المريض بالاتصال بالنساء ليتحول تيار تفكيره إلى اتجاه آخر ، لأن الجماع يزيد من الاحتقان المزمن الذى هو أس الداء . ومهما فعل الشاب فى هذا السبيل فإنه يجد نفسه مضطراً إلى الرجوع إلى عادته المحبوبة من آن لآخر .

وإذا تحدثنا عن أعراض العادة السرية يجب ألا نلقى بالا إلى مبالغات بعض الكتاب الذين يلصقون بها تهماً خطيرة كالجنون وانقباض النفس وعسر الهضم المزمن والأرق المستعصى والذبحة الصدرية وخفقان القلب والربو والصرع والارتخاء الجنسى وغيرها . فلو كانت هذه التهم صحيحة لما ظهر على سطح الأرض عظيم نابغة

لأن المعتقد أن خمساً وتسعين فى المائة من عظماء العالم انغمسوا فى العادة السرية خلال فترة من حياتهم وعاشوا فى جنتها راضين مغتبطين — ولعل أهم الأعراض التى تلاحظ فيمن يمارسها هى ضعف الذاكرة ، وهذا ليس ضعفاً بمعناه الصحيح ، وإنما يرجع إلى ميل إلى العزلة وعدم اهتمام بما يحدث حول الشاب الذى هو فى أغلب الأحيان خجول منطو على نفسه يظن لفرط خجله أن كل الناس يقرأون فى عينيه وفى أسارير وجهه تفاصيل ما يرتكبه فى وحدته المتواضعة . وهو يتذكر جيداً إذا حاول ذلك ، وقد يحصل على درجة الشرف فى المدرسة أو الكلية إذا شمر عن ساعد الجد .

وهناك أعراض أخرى قد يشكو منها هؤلاء الشبان وهى حدوث آلام فى الفخذ والساق ، وصداع فى الرأس ودوار يعود من حين لآخر وخاصة بعد ارتكاب الزلة الصغرى . وإذا فحص الجهاز البولى لوحظ وجود غضاضة وحساسية فى قناة البول ، وإذا فحصنا غدة البروستاتا عن طريق الشرج وجدناها بدورها حساسة تؤلم عند جسها بالأصبع ، وقد تكون متضخمة بعض الشىء ولو أن هذا ليس دائم الحدوث . ولعل وجود هذه الحساسية فى القناة البولية والبروستاتا أكبر إثبات على تأصل العادة السرية فى فريستها .

ومن خطل الرأى تبرئة الرجل المتزوج من العادة السرية .

فهناك أشخاص متزوجون يمارسونها بجانب الجماع الطبيعى عند توعك الزوجة أو تغيبها . بل هنـاك من يفضلونها على الزوجة نفسها وخاصة إذا كانوا قد تزوجوا بدافع التخلص من العـادة السرية ، فيجدون بعد فوات الوقت أنهم لا يزالون أسرى بين مخالبها . فالزواج لا يشفى من العادة السرية المتأصلة ما لم نعالج فى الوقت نفسه حالة الاحتقان المزمن فى قناة البول والبروستاتا .

وتتميز أخلاق أسرى العادة السرية بهدوء غير عادى وعزوف عن المجتمعات وخجل وابتعاد عن الجنس اللطيف ، ومسالمة قد تصل إلى حد الجبن والخنوع .

ويختلف عـدد مرات الاستمناء فى اليوم الواحد فى مختلف الأشخاص ، وقد يصل إلى حـد لا يصدقه العقل ، ولا يمكن حدوثه فى الجماع الطبيعى دون أن يؤدى إلى أوخم العواقب . ومع مرور الوقت يجد الشاب نفسه مضطراً إلى الاستمناء بيده لا لأنه يريد ذلك ، بل لأنه يشعر بتهيج فى قناة البول يدفعه إلى العبث بعضوه المنتصب رغم أنفه ، فيمارس العادة دون أن يشعر باللذة أو السعادة ، ويقل فى الوقت نفسه مقدار السائل المنوى الذى يطرده من جسمه ، ثم يأتى الدور الأخير الذى يجد نفسه فيه عاجزا عجزا تاما حتى عن ممارسة العادة . فهو يشعر بالألم والتهيج فى قناة البول ، ويشعر بالرغبة فى الاستمناء ، لـكن مهما حاول العبث بأعضائه التناسلية ، أو تنبيه دعاء الجنس والشهوة

فى خلايا مخه الخاملة فإنه يفشل فشلا تاما فى الوصول إلى غرضه من انتصاب ثم قذف ، فتنحط حالته النفسية إلى أسوأ الدركات وأقساها . وعند ما يصل إلى هذا الدور يكون جهازه العصبى قد تأثر تأثراً بليغا فترتعش منه اليدان ويكثر عرقه ، وتنتابه آلام جسمية ، وتخبو قوة ذاكرته ، ويقل انتباهه ، ويسوء هضمه ، ثم يحاول أن يجد من الضيق مخرجا فيلجأ إلى الجماع الطبيعى فيجد نفسه عاجزا ، ويكتشف أن به عنّة مستعصية ، وقد تؤدى المحاولة غير الناجحة إلى إصابته بمرض سرّى . ويمكننا أن نتصور حالته النفسية وهو يتخبط كالفأر فى المصيدة ، وقد تأكد أنه لم يعد هناك أمل فى الشفاء من علته حتى يقع فى يدالطبيب الذى يحول هذا الحطام البشرى إلى شخص نافع مسئول ، يرى جمال الدنيا فى وضوح وجلاء .

ولكن كيف السبيل إلى هـذا ؟ إن أول خطوة فى العلاج هى التأكد من أن بعض الأعراض التى يقاسى منها المريض غير ناتجة عن وجود أمراض أخرى فى الجسم ؛ ففقدان الوزن والشهية قد يكونان نتيجة لوجود إصابة درنية بالرئتين . وقد يكون الصداع وألم العينين ناشئين عن قصر نظر لا يثبت وجوده إلا بعد عرض المريض على طبيب إخصائى . أما خفقان القلب فقد يتسبب عن أمراض القلب أو الإفراط فى التدخين . ويجب التأكد أيضاً من عدم وجود إصابة قديمة أو حديثة بالسيلان ، فإن

علاجها يساعد على شفاء سريع من العادة السرية . فإذا ما استبعدت هذه الاحتمالات بدئ بعلاج العادة نفسها . ويتلخص العلاج فى عمل تدليك لغدة البروستاتا عن طريق الشرج ، ويتسبب عن هـذا ألم فى مبدأ الأمر ، ولذا يكتفى فى الجلسة الأولى بالتدليك لمدة بضع ثوان ، وتزاد المدة وقوة التدليك تدريجياً فى حدود قدرة احتمال المريض .

وبعد هذه العملية ينام المريض على ظهره وتدخل فى قناة البول قسطرة يحقن بوساطتها محاول نترات الفضة المخففة لدرجة واحد إلى ثلاثة آلاف ، ويكون إدخال القسطرة بحيث تصل الى الجزء الخلفى من قناة البول حيث يوجد الاحتقان المزمن الذى سبق أن تحدثنا عنه والذى هو موطن الداء فى العادة السرية . وباستمرار عملية تدليك البروستاتا وحقن سائل نترات الفضة القابض فى مجرى البول يقل الاحتقان تدريجياً ثم يختفى تماماً فى خلال ستة أشهر من بدء العلاج .

ويمكننا استنتاج الآتى من كل ما سبق قوله .

(أولا) أن العادة السرية مرض عضوى لا علاقة له بالتوهم والخيال .

(ثانياً) أنها ناتجة عن حالة مرضية فى غـدة البروستاتا والقناة البولية .

(ثالثاً) أنها قابلة للعلاج والشفاء .

(رابعا) أن العقاب والتقريع والنصح لا تجدى فى الحالات المزمنة ما لم تعالج الحالة المرضية الموضعية .

(خامسا) أن ممارسة الجماع الطبيعى لا يشفى من العادة السرية فى الحالات المتأصلة .

(سادسا) أن ممارستها فى اعتدال وإقلال لا يضر الصحة العامة .

* * *

كنت جالسا فى مقهى « التريانون » بالإسكندرية ذات يوم فإذا بصديق الطبيب يقبل علىّ من بعيد فى لهفة . وكان ممسكا كعادته بظليونه التقليدى يعضّ عليه بأسنانه فى شغف الولهان ، وجرنا الحديث إلى مشاكل الشباب ومنها العادة السرية وبعد أن استمع إلى رأيى عنها دار بيننا الحديث الآتى :

هو — أنا أوافقك على دفاعك عن العادة السرية وعلى قولك إن جميع رجال العالم عاشوا فى جنتها فى طور الشباب ثم خرجوا منها آمنين سالمين ، إلا فى حالات الإسراف والإدمان التى قد تؤدى بصاحبها إلى الانحلال العصبى والنفسى . ولكن كل ماقلته من كلمات التهدئة لم يحل دون انشغال فكرى نحو طفلى ، فإن ما أفكر فيه دائما هو كيف أجنّبه شرورها التى قد تبدو ضئيلة بعد كل ما كتبت .

أنا — وما عمر طفلك يا خير الآباء !

هو — ثلاث سنوات على وجه التقريب .

أنا — هأ هأ هأ ! لك أيها الله الوالد القلق . فكّر أن تجتاز به مرحلة الطفولة فى خضم أمراضها الكثيرة من حميات وغيرها قبل أن يقذف بك تفكيرك العميق البعيد إلى قمة النخلة .

هو — دعنا من المزاح فقد رأيته بعينى رأسى يلعب بأعضائه التناسيلة ، وبالرغم من دخولى عليه وهو يمارس هذه العملية فإنه استمر فيها بلا خجل ولا حياء . كان الشق الملعون فى شبه نشوة وقد برقت عيناه ، واحمرّ وجهه ، ثم لم يلبث كل هذا أن تحول إلى تراخ وخمول وصفرة فى الوجه . ولقد حاولت أن أمسك بيده لأبعدها عن هذا الموضع الحساس فجذبها بعنف وصرخ فى وجهى محاولا إبعادى عنه .

أنا — وما الذى يقلقك من هذا ؟ إن الطفل فى هذه السن يجهل تماماً ما هى اللذة الجنسية وما وظيفة أعضائه التناسلية . فالعادة السرية تبدأ كمجرد محاولة لقتل الوقت فهناك طفل يمص أصبعه وآخر يقرض أظفاره وثالث يداعب أعضاءه التناسلية لكى يشغل أوقات فراغه . واعلم أيها الطبيب اللبق أن العادة السرية لا تدل على شئ من أخلاق الطفل حاضراً أو مستقبلا . وهى فى سن الطفولة لا تعدو مجرد مداعبة يتسلى بها الطفل دون أن ينتهى به الأمر إلى حدوث رعشة عصبية يعقبها إفراز سائل منوى كالذى يحدث عند الولد اليافع .

هو — مع اقتناعى بمـا تقول هلا دللتنى على طريقة أساعده بها على التخلص من ربقة هذه العادة رغم تفاهتها ؟

أنا — لعل أجدى وسيلة هى ألا تترك له فراغاً دون أن يشغله بطريقة ما . راقبه عن بعد ، حتى إذا ما رأيته يحاول لمس أعضائه التناسلية فلا تنهره ، بل اطلب منه تأدية أى عمل بالمنزل ، واشغل أوقات فراغه بأشياء محببة إليه ؛ وإذا ذهب إلى فراشه فلا تتركه وحيداً واقصص عليه أحسن القصص حتى يستغرق فى النوم .

هو — لقـد طمأنتنى يا صديقى فقد كانت هذه المسألة شغلى الشاغل .

ثم أشعل غليونه وعضّ عليه بأسنانه بطريقة جعلته يتطلع إلى أعلى متحديا السماء ، فقلت له : وىْ وىْ ! لقـد هززت عن كتفيك مركبة النقص بعد أن كنت منذ دقائق ضئيلا لا تساوى شيئاً . إنك مهما تعاليت برأسك فلن تبلغ الجبال طولا . أنت الآن طبيب عظيم ، فهل تنكر زلة صغرى ارتكبتها عند ما خلوت بيدك فى غفلة ممن حولك ، ألم تعش فى جنتك الصغيرة المتواضعة شهوراً بل سنين حتى فتح الله عليك بما فى الدنيا من حلال وحرام ؟ لمـاذا تلوم ولدك إذاً ؟ أليس له الحق فى تتبع خطوات أبيه النابغة ؟ .

فودعنى صديقى مبتسما ولم يقل شيئاً .

* * *

سأطرق الآن ميدانا شائكا قد تغوص قدماى فى رماله ، وياليتنى أعفيت نفسى منه . ولكن كان لا بد لختام هذا الموضوع الهام أن أذكر شيئاً عن العادة السرية عند الجنس اللطيف . ولقد قيل إنها قد تبدأ فيهن من الطفولة وتستمر خلال سنىّ العمر الطوال حتى آخر العمر بعد سن اليأس بقليل أو كثير وقد تحدث فى غير المتزوجات كما قد يكثر حدوثها عند المتزوجات . فإذا بدأنا بالفتيات البالغات غير المتزوجات ودرسنا تاريخهن وجدنا فى الأغلبية منهن حسا مرهفاً وعاطفة رقيقة ، ويزيد من إشعال لهيبهن الكامن اختلاط مبكر بالذكور والسماح لهن بالاطلاع على كتب تبحث فى التناسليات فى صراحة تشعل مخازن البارود الكامنة فى الجسم الغض البض . وقد لاحظ العلامة هوارد فى كثير من حالاته أن فسخ الخطبات الطويلة المدى وانقطاع السيل العاطفى الجارف الذى كان يضفيه الخطيب على خطيبته يشعر الأخيرة فجأة بنقص فى الجو الذى تعيش فيه ، فتجد نفسها وقد اندفعت فى نشدان السلوى بينها وبين نفسها ولعلها تفلح . ويحمل الدكتور هنتر فى كتابه حملة شعواء على الجرائد والمجلات الأمريكية التى تسمح بنشر بعض الإعلانات الغامضة التى يفهم من كلماتهم التشجيع على اقتناء بعض الأدوات التى تستعملها السيدات لإرواء الغليل الجنسى . ومن أمثلة هذه الإعلانات : « أدوات من

المطاط » ، « الطريق إلى السعادة » ، « كيف تسعدين وأنت عازبة » ويقول أيضاً : إن هذه الإعلانات ترشد السيدات إلى محلات لبيع أدوات خاصة لممارسة العادة السرية مع تجنب التصريح العلنى على صفحات الجرائد ، واللبيبة المتطلعة الظامئة يكفيها خفيف الإشارة .

أما فى السيدات المتزوجات فقد تكون العادة قديمة متأصلة من عهد الطفولة والصبا ، فلا يمنع الزواج الفتاة من الانغماس فيها لا يشغلها عنها زوج محب ولهان ، أو أمومة أو حمل ، وقد تستمر العادة إلى سن اليأس بعد انقطاع الطمث . والواقع أن السيدة المدمنة على العادة السرية لا تجد لذة فى الجماع الطبيعى ؛ وقد تستسلم لزوجها فى آلية لا حِسّ فيها ولا عاطفة ، حتى إذا ما خلت لنفسها كانت اللذة الكبرى والنعيم الذى يصطلى به كل من عاش فى جنة المجنون ! ويعزو علماء التناسليات هذا إلى أن كثرة الحك فى البظر والشفرتين والصماخ البولى يولد فيها حساسية شديدة فتبدو جدران المهبل ميتة نسبياً ، فإذا حصل الاحتكاك الجنسى فشلت محاولات عضو الذكر فى إيقاظ مركز التنبيه الجنسى مهما لاعب وداعب الغشاء المخاطى المهبلى ، وقد تلجأ المرأة المتزوجة إلى العادة السرية إذا لم يباشر الزوج واجباته الجنسية كما تشتهى وتريد ، ومن أهم هذه الأسباب شدة الحساسية

وسرعة القذف ، ومحاولة منع الحمل بطريق الانسحاب أى القذف خارج المهبل .

* * *

ولكن كيف يمكن أن يدفع الزوج زوجته دفعا إلى الانغماس فى العادة السرية ؟ أقول بكل أسف إن هذا يرجع إلى تصرفه نحوها أثناء الجماع . فأعضاء المرأة التناسلية لها تصرفاتها وتغييراتها أثناء هذه العملية وقبلها وبعدها ، ففى البداية احتقان وفوران ، وعند الختام الطبيعى بالوصول إلى درجة الشبق والارتواء هدوء وهمود واستقرار موضعى ونفسى وعصبى . والويل لأعضاء المرأة إذا تركت فى منتصف الطريق نتيجة عيب فى الزوج أو بسبب اتباع طريقة الانسحاب لمنع الحمل فإن الأعضاء تبقى مع تكرار الواقعة فى حالة احتقان مزمن قد تؤدى إلى أو خم العواقب .

والواقع أيها القارئ العزيز أن ما يسمونه جماعا طبيعياً لا يؤدى فى معظم الحالات كما يجب . فإن الأنانية تتغلب على الموقف ولا يحفظ الرجل للمرأة حقها من متعة الجسد والروح . فهو يقتحم الدار متى ثارت ثورته ، سواء كان الطرف الآخر على استعداد لاستقباله أم لا ، بل قد يكون صاحب الدار مستغرقا فى النوم فيوقظه دون إنذار أو تمهيد وبعد حديث قصير ومداعبة مختزلة ينزل الستار ، ويرتمى الزوج فى إجهاد ، ثم لا يلبث أن يستغرق فى النوم وهو يشخر شخيرا ، بينما تكون الزوجة قد بدأت

تتنبه منها الحواس ، فتنظر فى حسرة إلى الذى حاولت أن ترتفع معه إلى السموات العليا ، فإذا به يهوى قبل الميعاد إلى أسفل سافلين . وحواء عنيدة نهازة للفرص ، لا تحب أنصاف الحلول ، فتحك بيدها أو تحتضن وسادتها وتضغط بها بين فخذيها حتى ترتوى وتشبع .

وللافاة هذا الموقف الشاذ ، وما قد يؤدى إليه يصر العلامة (هنتر) على وجوب إرشاد الأزواج إلى الطريقة المثلى لمباشرة عملية الخلود الأكبر ، وهو ينبه الزوج إلى ضرورة اعتبار الزوجة طرفا ثانيا ، له حقوق والتزامات لا تقل عن حقوقه والتزاماته ، وأن عليه أن يطيل مدة الجماع حتى يشعر بارتوائها إلى حد ما بعده من مزيد ، ويحذره من تركها فى منتصف الطريق تنعى الدار وتلعن زائر الدار

* * *

وتنقسم أعراض العادة السرية فى السيدات إلى موضعية وعامة . أما الموضعية فتتلخص فى تضخم ظاهر فى الشفرين الصغيرين سببه كثرة الحك والجذب والعبث العنيف . وقد يبدوان من فرط تضخمهما كأذنى كلب صغير أفزعته الفاجأة فرفع أذنيه فى يقظة الحارس الذى يود أن يكون أمينا . ويلاحظ أيضاً وجود حمرة شديدة حول فتحة المهبل ، وإفراز مخاطى يغمر الموضع الحساس ، وبطبيعة الحال يبقى غشاء البكارة سليما فى غير المتزوجات .

ولا تختلف الأعراض العامة عنها فى الذكور فالفتاة غير

المتزوجة تكون فى العادة خجولا ميالة إلى العزلة ، تنفر من الجنس الآخر قانعة بجنتها الصغيرة ، تحمر منها الوجنتان فى سرعة عجيبة فى أقل المواقف حرجا ، فإذا ما تزوجت نظرت إلى عملية الجماع نظرة فتور وعدم اهتمام ، وقد تلجأ إلى مداعبة بَظْرها بأصبعها الرقيقة أثناء الجماع أو بعده أو قبله مباشرة لتحصل على لذتها الكبرى فى غفلة من الزوج الحنون .

وقد تشكو السيدة من خفقان فى القلب واشتداد فى نبض شرايين الرقبة . وقد يقف الطبيب حائراً أمام هذه الحالات ولا يفطن للسبب الحقيقى إلا إذا تذكر العادة السرية كأحد مسببات هذه الأعراض . ويقص علينا الدكتور (هنتر) قصة فتاة انتابتها هذه النوبات فشك طبيبها فى وجود مرض بالقلب ، حتى إنه أجل ميعاد زواجها عاماً بأكمله . ولكن الأعراض لم تلبث أن اختفت عقب الزواج ، وأنجبت السيدة ولدين ثم عاودتها نوبات الخفقان مرة ثانية . ولما اختلى بها لفحصها صارحته بأنها كانت مدمنة على العادة السرية وهى فتاة ، وشفيت بعد الزواج ، ولكنها خوفاً من تكرار حدوث الحمل اتفقت مع زوجها على أن يقتصر فى علاقاته الجنسية معها على حك القضيب المنتصب بين فخذيها ، وهذا عمل لايختلف كثيراً عن العادة السرية . ولما أرشدها الطبيب إلى الطريقة المثلى لمباشرة الجماع فى أمن وطمأنينة من حدوث الحمل اختفت الأعراض بسرعة عجيبة .

ومن الغريب أنه ليس للعادة السرية عند الفتيات غير المتزوجات أى تأثير جسمى أو نفسى ضار ، فهن يمارسنها فى بساطة تامة دون أن يعوقهن هذا عن نشاطهن اليومى ، سواء فى العمل أو المدرسة ، ويبدون فى صحة وإشراق كأن لم يكن هناك شىء . وقد طلبت كاترين دافيس كتابيا من ألف فتاة متعلمات تعليما عالياً وخريجات فى أكبر الجامعات أن يوافينها عن تجاربهن فى هـذا الصدد ، فثبت من إجابتهن أن الأغلبية العظمى منهن مارسْن أو أو لا زلن يمارسن العادة السرية فى انتظام دون أن يؤثر هذا على نشاطهن أو مستقبلهن الزاهر . والواقع أنه قلما تأتى الفتيات إلى عيادة الطبيب كنتيجة للانغماس فى العادة السرية ، بل إن معظمهن يأخذنها فى بساطة ويسر قانعات بها حتى يأتى يوم الفتح الأكبر حين يرزقهن الله بالزوج الصالح .

ويجب ألا يمنعنا هذا من وقاية الفتيات من شر الوقوع فى مخالبها . فعلينا أن نمنعهن ما أمكن من قراءة النشرات المثيرة للعاطفة ومشاهدة الأفلام الغرامية العنيفة ، وأن نشجعهن على ممارسة الألعاب الرياضية كالسباحة وكرة المضرب ، وإذا عقدت خطبة فتاة وجب عدم إطالة مدة الخطبة ، فإن هذا يثير ما كمن من عاطفة الفتاة وحب استطلاعها ، فإذا وقعت الواقعة وأولعت الفتاة بالعادة السرية فيجب أخذها بالنصح والإرشاد والتكلم إليها فى صراحة تامة عن مساوئها دون أن نسرف فى المبالغة والتحذير ،

ونكلفها بعمل مرهق يشغل أوقات فراغها دون أن تشعر بالمؤامرة المحبوكة الأطراف . أما فى السيدة المتزوجة فيجب أن نبحث عن عيب فى الزوج كما سبق شرحه وتفصيله . ويجب إرشاد الطرفين إلى أمثل الطرق للاستمتاع دون خطر الحمل إذا شاءا تجنبه ، وإلى جعل هذه الفترة الملائكية جديرة بالقدسية التى تصقل النفس الآدمية وترتفع بها إلى أدق الدرجات وأشدها حساسية ولو لفترة وجيزة .

obeikandl.com

قصة لا بد منها

كتبت ذات شتاء

١ — مضى الصيف بناره ومضايقاته وتبعه الخريف فبدأت أوراق الأشجار تتساقط بعد أن عضّها صفرة قاتلة نالت من خضرة الربيع المنصرم . وياليت الربيع ما ولى وياليت الصيف قصر أمده فهو ضيف ثقيل على النفس كم سهرت لياليه الجميلة المقمرة على صريع يحتضر ، فهو خبيث بحمياته وآلامه بقدر ما هو جميل بلياليه الحسان !

٢ — ليس معنى حلول الشتاء زوال عهد الأخطار والأهوال. إن للشتاء ضيوفاً أعزاء لا يسعه إلا أن يستقبلهم ويحتضنهم ثم يذروهم بين أهل الأرض جميعاً عندما يضيق بهم صدره الواسع .

إنني بدأت أشعر أثناء جولاتى بين مرضاى الأطفال فى هذه الأيام أن الدفتريا بدأت تنساب فى نعومة الأفعى بين المخدوعين بلين ملمسها . لقد رأيتها مثلا فى طفل بادى التورد دخل علىّ فى عيادتى وهو يمشى مشية عسكرية طريفة بين تهليل والديه وبشرهم وحبورهم . ولم يدفعهما إلى عيادة الطبيب إلا أنهما لاحظا ارتفاعاً بسيطاً فى الحرارة ورشحاً من الأنف . وشاهدتها فى طفل آخر كان يتشقلب على يديه ورجليه ورأسه ويجرى بالمنزل دون أن

يشك هو أو من حوله بإن ضيفاً ثقيلاً قد حل دون استئذان ، وياليته ما فعل ! وعندما تواجه أهل الطفل بالحقيقة المرة يؤكدون لك أن طفلهم لا يختلط بأحد فمن أين جاءت له العدوى . فتسائل نفسك قبل أن تسألهم وتقول : ألا يعلم القوم بشيء اسمه حامل الميكروب ؟ ذلك الشخص الذى يبدو سليما رغم كونه يحمل الجرثومة فى أنفه وفمه . من يدرى ؟ قد يكون حامل الجرثومة شخصاً حبيباً إلى الطفل كأمه أو أبيه أو قريباً إليه كالخادمة أو المربية . ولو أثبت الفحص أنها الأم نفسها لشقت الجيب وصاحت ياليتنى مت قبل هذا وصرت نسياً منسياً ! ولماذا لا توفر على نفسها شق الجيوب ولطم الخدود فتأخذ طفلها إلى أقرب مكتب صحة وتحقنه بالطعم الواقى . فالقانون المكتوب يحتم هذا قبل انتهاء السنة الأولى من العمر ، أما القانون غير المكتوب فيحتم تكرار الحقن به كل عام ولو حقنة واحدة تكفى لتنشيط الأجسام المضادة التى ولدتها الحقن الأولى .

٣ — والسعال الديكى هو الآخر بدأ يظهر فى هذه الأيام ، فخذوا حذركم منه فهو جبار مذل يرهق من الطفل أعصابه ورئتيه وعموم جسمه ، وهو ليس بالرحلة سعيدة النهاية فضلا عن أخطار الطريق التى يتعرض لها المسافر . فالرئتان — مثلا — معرضتان للإصابة بالالتهاب الرئوى الذى يشك فى وجوده إذا ارتفعت الحرارة وضاق التنفس وازرق من الطفل وجهه . وقد تنفجر من

المخ الشرايين فى أثناء نوبات السعال وعندها اللهم لطفك وعفوك وكرمك . وفى هذا المجال أنصح بعزل الأطفال عزلا تاماً عن أى مصدر للعدوى وحقنهم عند حلول موسم الشتاء بالطعم الواقى ضد السعال الديكى وهو يوجد بسهولة فى الصيدليات .

٤ — وبدأ غيث الحصبة ينهال قطرات لن تلبث أن تتجمع فى سيل كاسح مدمر قبل مضى شهر أو شهرين فيبدأ وباء لن يخلو منه مدرسة أطفال أو ملجأ أطفال .

والحصبة هى الأخرى خداعة مراوغة يأخذها الناس ببساطة ودون اكتراث لصفحاتها السود المخبأة بين طيات كتاب غامض ملىء بالألغاز طليت دفتاه بماء الذهب فبدأ للعيان سهلا عذبا ، فقد تنال الحصبة من صدر المريض فيصاب بالتهاب رئوى حاد نشك فى وجوده إذا لم تنزل الحرارة إلى مستواها الطبيعى فى اليوم السابع من بدء ظهور أعراض المرض أو قد يصاب الطفل بنزلة معوية أو دوسنطاريا حادة ترهقه وتسبب له عذابا شديداً . وقد تغزو جرثومتها الجهاز العصبى فينتج عن هذا التهاب فى المخ قد يترك بالطفل شللا فى أحد أعضائه .

٥ — واحذروا أيضاً الزكام العادى إنه قد يؤدى فى الطفل إلى متاعب جمة فقد يمتد إلى الأذن فيسبب التهاباً مصحوباً بألم شديد وارتفاع فى الحرارة ثم لا تلبث طبلة الأذن أن تثقب ويخرج منها إفراز صديدى كثيراً ما نراه ونعجب لحدوثه . وقد يمتد

الالتهاب أيضاً من الأنف إلى الحنجرة ثم الشعب فتكون النتيجة التهاب رئوي حاد يجتازه المريض فى تثاقل وامتعاض وكأنه يشعر بالخطر يتهدده من كل جانب ، وقد تتأثر الأمعاء أيضا بالزكام العادى ويصاب الطفل بنزلة معوية حادة .

فيجب أن نعالج الزكام بدقة ودون هوادة ، وذلك بتنظيف الأنف جيداً وتقطير محلول مطهر فيه وحماية الطفل من التيارات الهوائية حتى نجنبه شر المضاعفات .

obeikandl.com